الفصل الثاني

منـــــع الزكـــــــــاة

هز العالم مرتين في القرن العشرين:

مرة بقيـــــام الشيوعية، والثانية بانهـــــــدامها.

تمهيد:

دخلت في صباي إلى متجر، وجلست منتظراً تجهيز حاجاتي من هذا المتجر، فدخل سائل إلى المتجر وطلب من صاحبه بإلحاح أن يتصدق عليه، ففتح التاجر درج النقود، وأخرج قطعة نقود صغيرة و مهترئة، فضرب بها على الطاولة بعنف وقال له: خذ ولا تعد ثانية.

تعجبت من تصرفه وقلت له: لماذا فعلت معه هكذا؟

فقال: نحن يا شيخ زكريا نزكي والحمد لله.

وفي هذه الفصل سأحاول أن أبين خطأ هذا التاجر، وجهله بأحكام الزكاة خاصة، وبالإسلام عامة، وكيف أن عدم أداء الزكاة هز العالم مرتين: مرة بقيام الشيوعية والأخرى بانهدامها.

كيف يحصل التفاوت المالي بين الناس؟.

لو افترضنا أن شخصاً ما توفي وله عدد من الأولاد لم يعلمهم الدين، وأراضي كبيرة، فاقتسموا الأرض فيما بينهم، فأحدهما(س) زرع الأرض قمحاً والآخر(ص) زرعها بندورة (طماطم). أصيب القمح بآفة زراعية فأفسدته، فخسر(س) خسارة كبيرة، كما أن ولده الذي يساعده في العمل أصيب بمرض، احتاج معه إلى عملية جراحية تكلف مائتي دينار فاضطر لاستئجار عامل بدلاً منه براتب شهري.

أما محصول البندورة عند (ص) فكان جيداً، كما أن سعرها ارتفع فجأة، فكانت أرباحه مضاعفة .

(س) بحاجة إلى النقود لكي يعالج ابنه، ويدفع أجرة العامل الجديد، ويسدد التزاماته نتيجة الخسارة، فذهب إلى (ص) يطلب منه مساعدة، فرحب به غاية الترحيب، وأبدى استعداده لتأمينه بالمبلغ على أن يرده في العام القادم مضافاً إليه 50% فائدة، وهكذا كانت الفوائد قديماً([1])، فوافق (س) على مضض لأنه بحاجة ماسة للنقود وليس له خيار آخر.

---

[1] كان يجلس في درس الشيخ الشامي، فوقع في براثن المرابين على أن يعطوه أموالاً، فيقرضها لغيره لمدة عام العشرة بسبعة عشر دينارا؛ له ديناران وخمسة للمرابي الكبير والعشرة تعود لصاحبها، وكان يسمى حسن أبو

وفي العام القادم عزم (س)على أن يزرع بندورة؛ لما يعرف بالدورة الزراعية، و عزم (ص) على أن يزرع قمحاً، فجادت السماء وغلّ القمح، في حين أن سعر البندورة انخفض كثيراً، بحيث لم يسدد سعر التكلفة، وابن (س) لا يزال في فترة نقاهة بعد العمليةً، مما زاد في ديونه والتزاماته ولم يستطع أن يسدد دين (ص)، فذهب إليه معتذراً عن التأخير، فقال له:

لا باس، سنؤجل المبلغ مضافاً إليه الفائدة للعام القادم بفائدة جديدة، فإذا كان المبلغ المقترض في العام الماضي (400) دينار، فإنه أصبح هذا العام(600) دينار، وفي العام القادم سيصبح (900).

وفي العام الثالث مات ابن(س) فانشغل به عن الزراعة، واضطر لاستئجار عامل آخر، ونتيجة قلة الإشراف جاء الموسم رديئاً، فلم يستطع أن يسدد التزاماته لـــ (ص) فذهب إليه بعرض جديد، لأنه لو بقي على العرض الأول فإن المبلغ سيصبح(1350)، فقال له:

يا أخي ما رأيك أن تشتري أرضي فتأخذ حقك، وتعطيني الباقي أنفقه على عيالي، وسأعمل بالأرض على نصف إنتاجها، فأجابه (ص)على ذلك.

والسؤال الذي يطرح نفسه: إذا كان (س) قد أصبح فقيراً وهو يملك كامل الأرض، فكيف سيصبح حاله مع نصف إنتاجها بالمستقبل؟

وإذا كان (ص) قد أصبح غنياً بأرض واحدة، فكيف إذا انضم إليه نصف ناتج الأرض الأخرى؟

لقد أصبح (ص) غنياً عن العمل بالأرض، ففتح دكاناً يبيع فيه حاجات أهل البلدة الضرورية بالسعر الذي يحدده هو، خاصة إذا كان المشتري لا يملك الثمن نقداً، فإن السعر يتضاعف، وعند موسم الحصاد يأخذ المحصول بأبخس الأثمان، وعند الزراعة يبيعهم المحصول نفسه بأغلى الأسعار: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ* الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ *

خنانة لفقره، فصار يسمى حسن آغا لغناه، وكان لا بد أن يقوم أهل الحق بزيارته لتذكيره بالرجوع عن الحرام ولو كان كثيرا إلى الحلال وإن كان قليلاً، فجاء إليه صديقه وجلس على الأرض وقال له: والله يا صديقي إنه لا يجوز لي أن أجلس على بساطك لأنه حرام، فهيا بنا يا أخي لكي نعود لدرس الشيخ فالدنيا فانية والآخرة باقية . فقال حسن بتهكم وسخرية :

إن كان بعض الناس سيدخل جهنم مطأطأ (هيك) وأشار برأسه، فأنا سأدخلها رافعاً رأسي ويداي (هيك) وأشار بيديه .

هنا صُعق الشيخ من هذه الوقاحة: وصاح: الله . الله. وخرج. وعندما دخل أهل البيت وجدوا أباهم المرابي رافعاً يديه، وبقي كذلك ثلاثة أيام ودخل القبر كذلك ولم تفلح جميع وسائل الطب والبيطرة في ثنيها فأدخل القبر كذلك . فهل من معتبر ؟

وسقنا هذه القصة شاهداً على أن الربا كان أكثر من النصف في الزمن الماضي.

وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾، فصار عنده فائض من القمح والحبوب، وفي إحدى السنين العصيبة، احتبست الأمطار، فكانت سنة قحط، فلم يجد أهل البلد سوى هذا التاجر المرابي ليبيعهم القمح، فاستغل حاجة الناس للقمح فصار يبيعه بسعر مضاعف نقداً، وبثلاثة أضعاف نسيئة، ومن لا يستطيع تسديد دينه يشتري أرضه بأبخس الأثمان، ويجعله أجيراً عنده.

وبهذه الطريقة أصبح يملك أراضي القرية بكاملها وجزءً من أراضي القرى المجاورة [2].

وبهذه الطريقة أصبح عند بعض المرابين أربعين أو خمسين قرية تحت ملكه، له أراضيها وحيواناتها ومواشيها، بل وهو الحاكم لهذه الولاية، وله حرسه الخاص!.

وإذا أحتاج إلى المال لأجل مشروع ما، فإنه يبيع قرية بكاملها بأهلها، وحيواناتها، ومواشيها، وأراضيها لإقطاعي آخر، ثم لا يكون لأهل القرية حق الاعتراض على ذلك، وليس عليهم إلا أن يقدموا الولاء والطاعة للإقطاعي الجديد، بغض النظر عن حبهم للأول وبغضهم للثاني أو العكس.

وفي ظل هذه الظروف أصبحت كلاب الإقطاعي تعاف اللحم، في حين أن أطفال الفلاحين يموتون جوعاً، ولا يجدون الخبز الحاف.

إذا فهذه هي ملخص مساوئ النظام الإقطاعي هي:

1-الربا2- الاحتكار 3- عدم مساعدة المحتاج.

<u>حلول مؤقتة</u>:

جاءت الثورة الصناعية، وبدأت المدن تستوعب آلاف الهاربين من النظام الإقطاعي، ظناً منهم أن الرأسمالية هي المنقذ الأعظم، ولا يدرون أن مثلهم كمثل: المستجير من الرمضاء بالنار، وما هي إلا تبديل بالأسماء والمواقع، فاستبدل ظلم الإقطاعيين بظلم الرأسماليين، واستبدل الفلاحين المظلومين بالعمال اليائسين.

---

(2)وهذا المثال ليس من نسج الخيال، ولكن هذا ما حدث فعل في بلاد أوربا فيما يسمى بالقرون الوسطى عندهم بينما كان المسلمون يرفلون بأثواب العزة والعدالة. وعندما تركت الأمة دينها حدث لها ما حدث لغيرها ففي كثير من قرانا في نهاية القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين، و في إحدى قرى محافظة إربد، استطاع أحد المرابين (النصارى) أن يستولي على جميع أراضي البلدة بلا استثناء، وأجرّها لهم، ورحل إلى الشام، وفي حوالي عام 1985 قام ببيعها لأحد المستثمرين، وسجلها بقيمة أعلى من قيمتها الحقيقية بثلاثة أضعاف، فلما أراد أهل البلدة أن يستردوا أرضهم (بالشفعة) اضطروا لدفع ثمنها مضاعفاً، ولم يستطيعوا أن يسترجعوا سوى ثلث الأرض، بعد أن لجأ معظمهم إلى القروض الربوية، وبقي الثلثان للمستثمر مجاناً. وراجع مسرحية تاجر البندقية لشكسبير (أو شيخ زبير) عندما أقرض اليهودي شاي لك مبلغا من المال وشرط عند عدم سداده أن يقطع رطلا من اللحم من المستدين!

الانبهار بالشيوعية:

جاء "كارل ماركس" يتوج جهود محاولي الإصلاح قبله وينادي بشعار:"يا عمال العالم اتحدوا" وأصبح ينادي بمبدأ: كل حسب حاجته، وكل حسب إنتاجه.

دار في خلد أنصار الاشتراكية أو الشيوعية: أن الكل يعمل حسب طاقته، ويقسم الناتج على الكل بالتساوي، فالفطور للجميع خبز وزيتون، أو قطعة جبن، والغداء للجميع بطاطا وبندورة، والعشاء كأس من الحليب أو بيضة، ولا فرق بين رئيس ومرؤوس.

فرح الناس بهذه الأفكار، وقامت الثورة الشيوعية في روسيا، إلا أن أصداء هذه الثورة هزت العالم هزاً عنيفاً للغاية، فكل مظلومي العالم أصبحوا يرون ضرورة القيام بمثل هذه الثورة والقضاء على كل الإقطاعيين الظالمين، والرأسماليين المستغلين لحاجات الشعوب ومقدراتهم[3].

الهزة الأولى تعيد تقييم الأمور:

استمرت الشيوعية تنتصر في بلد إثر بلد، والإقطاعيون الرأسماليون ينتفضون خوفاً وهلعاً، وما كان منهم إلا أن نادوا بشعار سري: يا رأسماليي العالم اجتمعوا، فاجتمعوا وتفاهموا، واتفقوا على أنهم إن لم يتورعوا عن ظلمهم وجشعهم فستأكلهم الشيوعية.

فما كان منهم إلا أن تعاهدوا على الأمور التالية:

1. **الربا ممنوع فوق 20% –لا خوفاً من الله وإنما خوفاً من الشيوعية.**
2. **الاحتكار ممنوع إطلاقاً – لا كراهية بالظلم والاستغلال، ولكن خوفاً من انتشار الشيوعية بين الشعوب–، ولكن يسمح بجلسات التفاهم بين كبار المنتجين والمصدرين والمستوردين، والاتفاق على ما يناسب الجميع.**

---

(3) أقول: إن جوع الناس في روسيا، وطموحهم في نيل مال الإقطاعي، هو الذي جعل الثورة تنجح في روسيا، ذلك لأن الإنسان هو الأساس، والثورة في روسيا رغم أنها في الظاهر انتصار لكارل ماركس، إلا أنها كانت ضربة له في شيوعيته للأسباب التالية:

1. لأنه كان يتوقع أن الشيوعية ستقوم في بريطانيا حسب رأيه، لأن الرأسمالية عندما تزدهر فإنها ستنتج الاشتراكية"حتما" ولكن خاب ظنه، وبان خطأ معتقده وتفكيره.
2. كان يصر على أن الإنسان لا دخل له بالتغيير، وإنما الأمور تسير حسب قوانين حتمية، ومرة أخرى بان خطأه من هذه الناحية أيضاً، وهذا إعجاز رباني، إذ يقول جل شأنه ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾، وفي ظني أن المظلوم لا يثور، ولكن الذي يثور هو الذي يشعر بالظلم، فقد تقوم ثورات ومظاهرات لأتفه الأسباب، في حين تنام شعوب على الظلم دهوراً لأن شعورهم قد تبلد، فالإنسان هو الأساس، وليس حتميات ماركس. (راجع إن شئت كتابي حتى يكون للجهاد معناه/فصل الجهاد إرادة)

3. كل عاطل عن العمل يجب أن يأخذ معاشاً يكفيه هو وعياله-لا حباً في عدالة عمر وإنما خوفاً من انضمام العاطلين عن العمل إلى الأحزاب الشيوعية والمطالبة بمطالبهم-.

4. يجب إنشاء المستشفيات ومعالجة الفقراء فيها بالمجان- لا خوفاً من نار جهنم، ولا حباً بالمساكين، لكن خوفاً من نار الشيوعية الملتهبة-.

5. لا بأس بإنشاء أحزاب اشتراكية أو شيوعية، يقودها عملائنا، حتى نكون على اطلاع بما يجري من تخطيط ضدنا، كما أنه لا بأس بإنشاء دول تطبق الاشتراكية بتعسف، والشيوعية بصلف، لكي نعطي مثالاً مشوهاً عن الشيوعية، فيبدأ الناس بكراهيتها.

الشيوعية بين التخيل والتطبيق.

هل يمكن للمساواة أن تكون ظلماً؟

نعم، فالعدل غير المساواة.

عندما قامت الشيوعية كان كل ثائر يقول في نفسه: أنا عندي دينار، والإقطاعي عنده مليون، وعند تطبيق قانون الشيوعية ونتقاسم، سيصبح عندي نصف مليون ونصف دينار، فالشيوعي يقول: أقتل أقتل لكي تصل، والرأسمالي يقول: أقتل أقتل قبل أن تُؤكل.

وبعد نجاح الثورة والقضاء على الإقطاعي الواحد كان عدد الثوار الذين حاربوه: مليون، وعند توزيع ثروته نال كل واحد منهم ديناراً واحداً، فيا لخسارة الثورة.

جاء الفلاح الأول بخمسين كيس من القمح وأفرغها في صوامع الثورة لكي توزع على بقية الفلاحين، فما كان من المسؤول في القيادة إلا أن شكره وأعطاه لباس العمال الموحد، وعندما جلس ليرتاح من عناء السفر والتحميل والتنزيل،.

وإذا بفلاح آخر يأتي بكيس قمح واحد مهلهل، فأفرغه في الصومعة، وأخذ بدلة عمل موحدة كالتي أخذها الذي قبله بالمواصفات والمقاييس نفسها، لماذا؟ بكل بساطة: لأن الكل سواسية كأسنان الحمار[4]، إنه شعار الشيوعية: المساواة بين الكل، حتى بين المجتهد والكسول!

العدالة غير المساواة:

جاء أحد المهندسين في الصباح ليقول للمسؤول في القيادة: لم أنم البارحة حتى هذه اللحظة إلى أن اخترعت الجهاز الفلاني، فشكره وقدم له الفطور الموحد(جبنة وزيتون) كبقية

---

(4) هذا التعبير كان يستعمل قبل بعثة النبي ﷺ تعبيراً عن المساواة الدقيقة، ولكن عندما جاء النبي ﷺ قال" الكل سواسية كأسنان المشط" وكم من فرق بين التشبيهين مع اتحاد المضمون .

زملائه الذين ناموا طوال الليل ولم يفعلوا شيئاً، وقال له: أرجو أن لا تتأخر عن دوامك غداً؛ لأن الشيوعية هي المساواة بكل أبعادها.

وفي الظهيرة جاء الطيار ليقول للمسؤول: لقد سهرت طوال الليل على الطيارة التي قمت بتطويرها وقدتها بنفسي عدة ساعات في الجو، فكانت كما توقعت تماماً، فشكره المسؤول وقال له:

لا تنسى أن تتناول طعام الغداء (بطاطا وبندورة) كبقية زملائك (فالذي فكر والذي لم يفكر سواء)؛ لأن الشيوعية تعني المساواة، نعم المساواة بين الجميع!

إنها مساواة ظالمة، وحقاً: إن المساواة شيء، والعدالة شيء آخر[5]، فالشيوعية لا تعترف بالملكية الخاصة إطلاقاً، وهي بذلك تخالف الفطرة الإنسانية، لأن حب التملك غريزة فطرية في الإنسان، حتى أن الأطفال يتنافسون فيما بينهم أيهم يملك أكثر من الآخر.

تراجع وتراجع:

إن تراجع الرأسمالية الذي تحدثنا عنه فيما سبق، قابله تراجع من الشيوعية؛ لأن الناس أصيبوا بالإحباط، واصطدموا بواقع الشيوعية المر، وكأنهم خرجوا من نفق الإقطاع المظلم، ليسقط في حفرة الشيوعية السحيقة، فما العمل؟

فإذا كان للرأسمالية ثلاثة أخطاء هي: الربا، والاحتكار، وعدم مساعدة الفقير، فإن للشيوعية خطأ واحد، ولكنه أكبر من الثلاثة جميعها، وهو: عدم الاعتراف بالملكية الفردية، فالذي يعمل ويجد ويجتهد، يأكل كما يأكل الكسول المتهاون، وصاحب السهر والتفكير بمصالح الأمة يأخذ كالمتناوم، والبليد.

حماقة الشيوعية

تنعكس على عملية الإنتاج:

نتيجة لهذه السياسة الحمقاء تناقص الإنتاج في روسيا بشكل كبير، وبعد أن كانت تصدر القمح للعالم بفضل تربتها الخصبة وأراضيها الواسعة، أصبحت أكبر مستورد له؟

هل لأن السماء ما عادت تمطر، أم أن الأرض ما عادت تنبت؟ بل بسبب قتل الوازع الفردي للإنتاج، فالمجد والكسول يأخذان الكمية نفسها من الإنتاج، والمثل القديم يقول: " أعطني قرصي، أريك حرصي"، فتكاسل الجميع وقلّ الإنتاج، وبدلاً من أن يعمل أحدهم قليلاً، والآخر كثيراً، ويأخذ كلاهما قليلاً، أصبح الجميع يعمل قليلاً، ولا ينتج إلا قليلاً، ولا يأخذ إلا قليلاً أيضاً،

---

(5) راجع إن شئت كتابي: خمس مقالات حول المرأة.

وانعكس هذا على الناتج الكلي للدولة، حتى اضطرت روسيا لشراء القمح الأمريكي بخالص ذهبها الذي تنتجه، لكي تغطي على عيب الشيوعية الاقتصادي الرئيسي، وهو إنكار حق التملك الفردي، الذي أدى إلى قتل الوازع الرئيسي للإنتاج.

والسؤال الكبير: إذا بقيت الأمور على هذا الحال، فما العمل؟.

و الجواب: صعب للغاية، فإن هم عادوا إلى التملك تناقضوا مع دعواهم، وإن بقوا على إصرارهم ماتوا جوعاً وكمداً، فما الذي حصل؟

اجتمع المُنَظِّرون وتدارسوا الأمر وأوصوا بما يلي:

1. لتغطية عيوب الشيوعية، لا بد من الاستمرار في انتقاد الإقطاعيين-رغم أنهم انتهوا-، وإظهار مثالب الرأسماليين-رغم أنهم تراجعوا-.

2. حتى لا يطلع أتباعنا على منجزات الغرب، علينا منعهم من الذهاب للخارج فأنشئوا (سور برلين).

3. حتى لا يُفشل الرأسماليون مخططاتنا، يجب أن نشوش على إعلامهم، وننتج راديو وطني لا يستقبل إلا محطاتنا الداخلية، ولا يستقبل غيرها.

4. يصرف لكل طبيب سيارة، وإذا تسائل الناس عن السبب قولوا لهم:

هذه السيارة ليست لأجل الطبيب، وإنما لأجل الشعب الحبيب، حتى يتمكن الطبيب من الإسراع في الوصول إلى المريض ويعالجه بأقصى سرعة، لكنهم فوجئوا بسؤال آخر لم يحسبوا له حساباً، فعندما سئلوا:

لماذا يركب الرئيس سيارة فخمة من صنع رأسمالي؟ لم يجدوا جواباً.

5. يضاف إلى بيت كل مهندس غرفة إضافية فإن سأل الشعب المسكين عن ذلك: فقولوا لهم:

إن هذه الغرفة ليست للمهندس، وإنما للشعب كله حتى يتمكن المهندس من التفكير والتفكير بعمق أثناء الليل لمصلحة الأمة.

6. تصرف الأوسمة والنياشين ذات الرتب المتفاوتة، لأحسن عامل، وأحذق طبيب، وأنشط فلاح، وأذكى مخترع، وحتى نحفزهم على العمل.

وبذلك تراجعت الشيوعية عن نصف الطريق الذي سلكته، وعن كل الطريق الذي كانت تفكر فيه وهو: الشيوعية العالمية.

تجارب مريرة:

أولاً: جيفارا:

قام الشاب المتحمس"جيفارا" في كوبا، بنشر مبادئ الشيوعية، واستطاع أن يجلب كثيراً من الشباب إليه، حتى أصبح خطره عظيماً، فقامت الحكومة الكوبية الرأسمالية، بإطلاق الشائعات بين الناس بأن جيفارا وجماعته، يقتلون الفلاحين ويأكلونهم، أو...

فصار الفلاح يتلفت حوله، وإذا رأى أحد الشيوعيين مقبلاً عليه من بعيد، ترك كل شيء وهرب إلى بلده مخبراً عنه، مما اضطر جيفارا أن يغير أسلوبه، فصار يأتي بأتباعه ويطوقون الفلاحين، ويقبضون عليهم، فرادى أو مجتمعين، ويقولون لهم:

نحن لا نأكل أحداً، وإنما نريد أن نحميكم من الإقطاعيين، الذين يأكلون تعبكم وجهدكم وعرق جبينكم، وإذا قامت الشيوعية في كوبا، فإن كل ما تنتجه هذه الأرض سيكون لكم، وملككم وحدكم، ولا يذهب معظمه لهؤلاء المجرمين.

ويرجع الفلاح إلى بلده يتلمس نفسه، إنه لا يزال على قيد الحياة، ولم يأكله الشيوعيون، فيخبر زوجته وأولاده، وينتشر الخبر بين الناس، فيعرفون أن الحكومة كانت تكذب عليهم، وما قالته لهم لا يعدو كونه إشاعات، والتفوا حول جيفارا، وقامت الثورة الشيوعية في كوبا بقيادة جيفارا، على بعد عدة أميال من الولايات المتحدة، وقام جيفارا بتسليم السلطة إلى" فيدل كاسترو" وتوجه إلى البلد المجاور" بوليفيا، ليحررها من الظلم والاستعباد.

آه... ولكـــــــــن:

آه لو كان شباب المسلمين يفهمون دينهم الحق، ويضحون من أجله بالمناصب، ويتنازلوا عن المكاسب المادية الدنيوية لأجل الآخرة التي لم يكن يؤمن بها جيفارا، ولكنه تنازل عن منصبه لغيره، ليتفرغ للمناضلة من أجل تحقيق حلمه في الشيوعية العالمية، وحاول تصدير الثورة إلى بوليفيا، إلا أنه لم ينجح في ذلك، وقُتل هناك، وحاول كاسترو إعادة جثة صديقه بكل الطرق، فعرض الأموال والأسرى، ولكن دون جدوى.

لـــــــــكن... واه:

فما لبثت خطيئة الشيوعية(منع الملكية الفردية) بالظهور، وقتل حافز الإنتاج، وحاول الاتحاد السوفييتي أن يمد كوبا بكل ما تستطيع، كي تقف على رجليها في مواجهة أمريكا الرأسمالية، ولكن دون جدوى،

وبعد فترة من الزمن صار الناس يهربون من النظام الشيوعي، وفي التسعينات فرّ ما يزيد عن ثلاثين ألف عامل كوبي –ممن قامت الشيوعية بزعمها لإنقاذهم من براثن الرأسمالية والإقطاع– والتجئوا إلى ثلاث سفارات أجنبية؛ لأن الذين هربوا من ظلم الإقطاع لم يعرفوا أن الشيوعية أقسى وأظلم وأعتى، فكانوا كمن هرب من المطر ليقف تحت المزراب، و كما قال الشاعر:

والمستجير بأم عمر عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار.

وفي ظل هذا الوضع المحرج احتار الشيوعيون في كوبا ماذا يفعلون، فإن هم قتلوا هؤلاء اللاجئين، أظهروا ظلم الشيوعية للشعب الذي يدَّعون أنهم جاءوا لإنقاذه.

وإن هم أعادوهم إلى المجتمع الكوبي، فإنهم سيصبحون أكثر خطراً على الشيوعية، إذ كيف يهرب ثلاثون ألفاً مع المخابرات المندسة بينهم في يوم واحد بتخطيط لم تكتشفه الدولة !؟

وإن سمحوا لهم بالخروج من كوبا، فقد ذلوا أمامهم أيما إذلال، وفتحوا المجال لغيرهم بأن يفعلوا مثلهم.

واختار كاسترو الحل الثالث، لكن بتدبير وفذلكة، لم يكن لكبار الإقطاعيين أن يقوموا بمثلها، فقد قال:

دعوهم يخرجوا، فإن الشيوعية ليست بحاجة لهؤلاء العاقين لها، وهي غنية عنهم.

لكن السؤال الذي لم يستطع أن يجيب عليه فيدل كاسترو هو: لماذا أصبح المضحّون للشيوعية هاربين منها؟

والسؤال الثاني الأمرّ من الأول وهو:

إن هؤلاء الفلاحين ما تركوا أوطانهم رغم ظلم الإقطاعيين، وقسوة الرأسمالية، فلماذا يهربون من سعادة الشيوعية المزعومة–إن كان فيها سعادة كما يدعي أتباعها–؟.

وماذا لو علم جيفارا بأن الذي ضحى بنفسه من أجله،ليس هو منقذ العالم من الظلم، و الظلمات ؟.

<u>ثانياً: ســـــور برلـــين:</u>

عندما هدم سور برلين، قام شعب ألمانيا الشرقية بالمشي على الأقدام حتى يعبروا ألمانيا الغربية، لماذا؟

هل لأن جزءً من ألمانيا أغلى من الجزء الآخر؟

والجواب: لا، ولكنه حب الخلاص من ظلم الشيوعية، وعندما سئلوا لماذا لم تنتظروا حتى تأتي الباصات ووسائط النقل لتنقلكم إلى ألمانيا الغربية، كان جواب بعضهم: نخاف أن يحدث انقلاب في روسيا على" غورباتشوف" فيفرض علينا وعلى أولادنا السجن الجهنمي إلى الأبد.

(نكتة):

أعلن أحد الأثرياء عن فقدان كلبه، وخصص جائزة نقدية مقدارها عشرة آلاف دينار لمن يجده، وفي اليوم التالي لم تصدر الجريدة المتضمنة الخبر في موعدها، فذهب صاحب الكلب إلى الجريدة ليستفسر عن سبب عدم صدور الجريدة في الموعد المحدد، فلم يجد في مبنى الجريدة سوى المراسل، فسأله عن الموظفين فقال: المدير والموظفون جميعهم ذهبوا يبحثون عن الكلب.

أقـــــول: ما أظن أن سائق الجرافة الذي كلف بهدم سور برلين إلا أنه قد بدأ بالهدم من الجهة الغربية خوفاً من المفاجآت في الجهة الشرقية، وما أن أتم عمله حتى ترك الجرافة مكانها وهرب إلى ألمانيا الغربية تاركاً أولاده وزوجته وأقاربه، وكل ما يملك-إن كان يملك شيئاً- في الجهة الشرقية.

<u>ثالثاً: التخلي عن السُلْطة:</u>

عندما استلم غورباتشوف السُلطة في روسيا تخلى عنها بعد فترة، فما هو السبب يا ترى؟

هل لأن الرؤوس النووية التي تملكها روسيا، وعددها(27) ألف رأس نووي، لا تكفي لحمايته وحماية بلاده؟

أم لأن الشعب كان لا يحبه؟ وهل كان أحد ممن قبله محبوباً؟

أم أن الطعام الذي كان يقدم له لا يكفيه، وأنواعه لا تعجبه؟

أم أنه ضحى بعزة روسيا وكبريائها لأنه كان يشتهي أن يلبس "الجينز الأمريكي" ؟ أم كان عميلاً لأمريكا كما يقولون؟

وهل العميل يضحي بمنصب كهذا؟ وهل عميل كهذا لا يتمرد؟

الجواب عن كل هذه التساؤلات ببساطة: إن "غورباتشوف" كان يعتقد بأن "الكرملن" سيسقط على رأسه لو استمر، فما كان منه إلا نجا بروحه قبل أن يحصل ذلك.

والسقوط الذي نقصده هنا هو السقوط المعنوي، لا الحسي، فكما تعلمون اهتز العالم للمرة الثانية بسقوط الشيوعية على يدي غورباتشوف، ووقع تمثال صنمهم على الأرض إعلاناً بزوال الشيوعية وأصنامها.

لكن هذا الزلزال على شدته كان أخف بكثير من الاهتزاز الذي حصل عند قيام الشيوعية على أنقاض الرأسمالية.

عوداً على بدء:

لنعد إلى مقدمة الموضوع ونتذكر صاحب المتجر المسلم الذي لم يفهم معنى الزكاة، فهل الزكاة تعطى للمستجدي؟ وهل يصاحب دفع الزكاة التكبر والتعالي على آخذ الزكاة؟ أم أن الزكاة في الحقيقة لا هذا ولا ذاك.

فما هو النظام الإسلامي الفريد للزكاة، وكيف تدفع؟ ولمن؟

هذا ما سنتعرض له في هذا الفصل إن شاء الله تعالى.

مفهوم الزكاة في الإسلام:

إن مفهوم الزكاة في الإسلام يختلف عن جميع المفاهيم الأخرى، فهو حق لبعض الفئات في أموال الأغنياء، يعطونه عن طيب خاطر، ولا يشعرون بأنهم متفضلون بهذا العطاء، وإنما يدفعونه وهم يخافون أن لا يتقبله الله منهم، ويدعون الله تعالى ويضرعون إليه بأن يتقبل منهم، وأن يجزيهم به يوم القيامة، ولا ينتظرون ممن يأخذ زكاة أموالهم حمدا ولا شكوراً، ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾[8الانسان]

وهناك عدة أمور يجب على المسلم فهمها حتى يحقق إرادة الله من الزكاة والهدف منها:

أولاً:

إن الزكاة هي الركن الثالث من أركان الإسلام الخمس، فهي واجب شرعي، وقد قرنها الله تعالى بالصلاة، فما من أمر في كتاب الله يأمر بالصلاة إلا وتلاه أمر آخر يأمر بالزكاة في الآية نفسها، أو التي تليها، فلا يصح أن يدعي أحد الإسلام وهو لا يلتزم بأداء الزكاة إن ملك نصابها، وتحققت فيه شروطها، لأنه سيحاسب على ذلك أمام الله يوم القيامة، وقد قاتل أبو بكر ﷺ الذين رفضوا دفع الزكاة بعد وفاة النبيﷺ.

ثانياً:

_الزكاة في نظام الإسلام تأخذها الدولة المسلمة من الأغنياء؛ فلا يتكبر الأغنياء بإعطائها للفقراء، وتدفعها للفقراء، فلا يذل الفقراء بأخذها من الأغنياء، وهذا الجمع له أصوله، ونظامه الخاص، والبحث فيه يطول، فليرجع فيه إلى الكتب المتخصصة.

ثالثاً:

يهدف نظام الزكاة في الإسلام إلى تحويل الفقراء من آخذين للزكاة إلى دافعين لها، فلا يبقى الفقير يأخذ الزكاة طوال عمره، بل يأخذ من الزكاة مرة واحدة، وبعدها يطالَب بدفع زكاة أمواله، لأنه سيصبح في صف دافعي الزكاة، وليس في صف آخذيها.

فقد ورد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَسْأَلُهُ فَقَالَ: أَمَا فِي بَيْتِكَ شَيْءٌ قَالَ: بَلَى حِلْسٌ نَلْبَسُ بَعْضَهُ وَنَبْسُطُ بَعْضَهُ وَقَعْبٌ نَشْرَبُ فِيهِ مِنَ الْمَاءِ قَالَ: ائْتِنِي بِهِمَا قَالَ فَأَتَاهُ بِهِمَا فَأَخَذَهُمَا رَسُولُ اللَّهِﷺ بِيَدِهِ وَقَالَ: مَنْ يَشْتَرِي هَذَيْنِ قَالَ رَجُلٌ: أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمٍ قَالَ: مَنْ يَزِيدُ عَلَى دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، قَالَ رَجُلٌ: أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمَيْنِ، فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُ وَأَخَذَ الدِّرْهَمَيْنِ وَأَعْطَاهُمَا الْأَنْصَارِيَّ وَقَالَ: اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا فَانْبِذْهُ إِلَى أَهْلِكَ وَاشْتَرِ بِالْآخَرِ قَدُومًا فَأْتِنِي بِهِ فَأَتَاهُ بِهِ فَشَدَّ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺعُودًا بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ: اذْهَبْ فَاحْتَطِبْ وَبِعْ وَلَا أَرَيَنَّكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا فَذَهَبَ الرَّجُلُ يَحْتَطِبُ وَيَبِيعُ فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ عَشْرَةَ دَرَاهِمَ فَاشْتَرَى بِبَعْضِهَا ثَوْبًا وَبِبَعْضِهَا طَعَامًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيءَ الْمَسْأَلَةُ نُكْتَةً فِي وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِثَلَاثَةٍ لِذِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ أَوْ لِذِي غُرْمٍ مُفْظِعٍ أَوْ لِذِي دَمٍ مُوجِعٍ"ابو داود/الزكاة1641

وفي رواية البخاري/البيوع:2074 قالﷺ:"لَأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ" .

وهكذا فإن النبيﷺ بدلاً من أن يعطي هذا الرجل دريهمات يسد بها رمقه لمرة واحدة، دله على طريقة يستغني بها عن السؤال إلى الأبد، وفي الأمثال يقولون: "بدلاً من أن تعطي الفقير سمكة علمه كيف يصطاد السمك" وعليه يمكن أن نضرب عدة أمثلة للتعامل مع الفقراء، حسب النظام الإسلامي للزكاة:

1. لو أن رجلاً جاء إلى عامل الزكاة وقال له: إنني رجل فقير لا أملك مالاً، ولكنني أجيد مهنة النجارة اليدوية، فيجري له امتحان ميداني، فإذا تأكد من مهارته في النجارة، يعطيه ألف دينار أجرة المحل(الدكان) لسنة قادمة، وألفاً أخرى ثمن أدوات النجارة، وألفاً ثالثة ثمن المواد

الخام، وألفاً رابعة للإنفاق على المنجرة، وعلى نفسه، وفي العام القادم نأتي إليه ونقوّم ما عنده من أموال تستوجب الزكاة، ونأخذ منه الزكاة، وتنتهي مشكلة هذا الرجل إلى الأبد.

ولو كان الرجل حداداً، ويجيد الحدادة الآلية، والمحددة تحتاج إلى أدوات أكثر من النجار، ومحل أكبر، فبعد الامتحان يعطى عشرة آلاف ثمن الآلات، ومثلها للمحل والمواد، ومثلها لدفع مصاريف المحل والآلات، والإنفاق على المحددة وعلى نفسه وعماله، ثم يأتي في العام القادم شاكراً، ويدفع الزكاة المستحقة عليه. وهكذا صانع الذهب، وجميع أصحاب الصناعات الأخرى يأخذ من بيت المال ما يكفيه لينشئ صناعة جديدة، وينتقل من آخذ للزكاة إلى دافع لها خلال عام واحد.

2. لو أن رجلاً شاباً قوياً، ولكنه لا يملك المال، فيدفع له بيت المال، ما يكفي لشراء عربة لنقل الحاجيات، فيعمل عليها، أو يعطى مبلغاً آخر فيشتري به بعض المواد كالخضار والفواكه، وغيرها فيبيع وينفق على عياله، وإذا زاد معه مالاً يبلغ النصاب أخذنا منه زكاة ماله.

3. أما لو جاء رجل عجوز لا يملك مالاً، ولا قوة، فيمكن أن يشترى له بيتاً، فيؤجره وينفق على نفسه من أجرته حتى يموت، فإذا مات عاد البيت إلى بيت المال.

رابعاً: ومن مفاهيم الزكاة أيضاً:

أنه لا توجد مصالح متضادة بين ملك المسلم وملك الدولة، إذ أن الدولة هي عبارة عن مجموعة أفراد، فإن كانوا أغنياء، كانت الدولة غنية، وإن كانوا فقراء كانت الدولة فقيرة، لذلك قال عز وجل:﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾[5النساء]، فالدولة إذا أعطت فإنما تعطي نفسها.

خامساً:

الزكاة التي تأخذها الدولة من الغني، هي لمصلحته، ومصلحة أولاده، إذ هي تأمين له ضد الفقر، وكأن الإسلام يقول له: إن الأيام دول، فإن بقيت أنت غنياً، وأولادك من بعدك، لقيت الله شاكراً مزكياً، وإن أصابك الفقر يوماً ما، كانت الدولة قادرةً على إعطائك ما يكفيك بلا مَنٍّ ولا أذية،كما كنت تعطي في غناك، فالزكاة تأمين لكل أفراد الدولة ضد الفقر والعوز.

(قصة): بينما كان رجل غني يجلس في قصره، ويأكل دجاجاً مشوياً هو وزوجته، وإذ بسائل يطرق الباب، فقال الغني لزوجته اطرديه، وبعد ذلك صارت الأمور تضيق على هذا الرجل يوماً بعد يوم، حتى اضطر لبيع القصر، وأنفق ثمنه في تسديد ديونه والتزاماته، ثم لم يبق معه شيء ينفقه على زوجته، فطلقها بسبب الإعسار.

وتزوجت المرأة برجل آخر غني فاشترى لها القصر الذي كانت تسكن فيه مع زوجها السابق، وذات يوم جلس الزوج الجديد مع زوجته يأكلان الدجاج المشوي، وكان أمام كل منهما دجاجة، وإذا بسائل يطرق الباب، فقال لزوجته:

خذي إحدى الدجاجتين، وأعطيها للسائل، وتكفينا واحدة، فأخذت الدجاجة لتعطيها للسائل، ولكنها عادت باكية، فقال لها زوجها: لا تبكِ، فدجاجتي كلها لك، فقالت:

إنني لا أبكي على الدجاجة، وإنما أبكي لأن السائل هو زوجي القديم، فقال لها لا تبكي، فإني والله الفقير الذي طردته من بابك في العام الماضي، فقد آتاني الله من فضله، فشكرته على نعمائه، ولم أطرد السائل، وكذلك هي الأيام دول:﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾[140آل عمران].

وهكذا فحين يدفع المسلم زكاة ماله وهو ميسور الحال، فإنما يضمن أنه لا يحتاج أحداً إذا أصبح معسراً في يوم من الأيام.

فالإسلام يقول لأتباعه: أذهب إلى العمل ولكن إياك من: الربا، أو الغش، أو الاحتكار، أو الاستغلال. فإذا رجعت إلى بيتك ومعك النقود الوفيرة، وجاء وقت إخراج الزكاة، وعندك النصاب، طالبك الإسلام بدفع الزكاة لأخيك المسلم الذي تتعاون وإياه في تربية جيل آخر قادر على حمل الأمانة للأجيال القادمة، وتتكاتف معه للدفاع عن الوطن الإسلامي الكبير، وقد يكون شفيعاً لك يوم القيامة.

ادفع زكاتك اليوم لتؤمن نفسك وعيالك غداً من الفقر، وما يخبئه لك الزمان، وبذلك تلغى شركات التأمين التي توظف أحذق الحقوقيين للتخلص من الدفع، والتي لا تؤمن إلا للأغنياء.

سادساً:

الزكاة تؤخذ من الغني بطيب النفس، فإن أبى أخذت منه بالقوة إضافة إلى شطر ماله، تأديباً له على غطرسته، وحتى لا يفكر بالعودة إلى هذا السلوك الذي لا يتناسب مع ما يجب أن يتمتع به المسلم من عادات وأخلاق، فقد روى النسائي بسنده عن بَهْزُ بْنُ حَكِيمٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:" ... مَنْ أَعْطَاهَا مُؤْتَجِرًا فَلَهُ أَجْرُهَا وَمَنْ أَبَى فَإِنَّا آخِذُوهَا وَشَطْرَ إِبِلِهِ عَزْمَةٌ مِنْ عَزَمَاتِ رَبِّنَا..." [كتاب الزكاة2444].

سابعاً:

الزكاة هي الحد الأدنى الذي يدفعه المسلم لأخيه المسلم، وهناك الصدقات، والكفارات، والنذور، والهدايا.

ثامناً:

الزكاة والصدقة تكفر الذنوب، وتطهر الأبدان والأموال، قال تعالى:﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾[103التوبة]، ويقول ﷺ:"إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ وَتَدْفَعُ عَنْ مِيتَةِ السُّوءِ"[الترمذي/الزكاة:664]،فإنفاق الأموال في وجوه الخير سبب في نمائها وتزكيتها، ولذلك فإن الزكاة تختلف عن الجزية، كما أنها تختلف عن الضريبة قلباً وقالباً، مع العلم بأن المصلّي يجب أن يزكي، لأنه ينهي صلاته بالتسليم عن اليمين والشمال، فإذا رأى أخاه الفقير يصلي بجانبه، فكيف لا يساعده.

تاسعاً:

ومن المفاهيم الخاصة بالزكاة، أنها سر بينك وبين الله تعالى، تُسِر بأدائها، وتحتاط لها، فلو خصم من راتبك نصف دينار تجدك تتصل بالجهة المختصة، وتستفسر عن سبب هذا الخصم، وكيف يمكن أن تتحاشاه مستقبلاً، لكنك عند أداة زكاة الفطر، تؤديها عن نفسك وعن غيرك، وتحتاط لذلك، فقد تدفعها عن الجنين الذي لا يزال في بطن أمه، وعن الغائب الذي سيدفعها في مكان وجوده، ولكنك تدفعها عنه خوفاً من النسيان أو من أي عارض آخر، وقد يأتيك من يطلب الصدقة بعد أن تكون قد أديتها، فتعطيه زيادة عما هو مطلوب منك لماذا؟

والجواب لأن هذا الأمر بينك وبين الله، تؤدي ما عليك، وتخاف من النقص، وتأمل في زيادة الأجر، وهذا ما لا تفعله مع محاسب الماء والكهرباء والهاتف، وغير ذلك .كما أن الزكاة لم تنقطع بزوال آخر دولة تحكم بالإسلام، بل إن المسلمين الملتزمين يقومون بأدائها، رغم أنه لا أحد يجبرهم على دفعها، وهذا فرق عظيم بين الزكاة والضريبة.

عاشراً:

الزكاة مثلما أنها تأمين ضد الفقر، فإنها تأمين ضد الحريق والحوادث الأخرى، فلو جاء رجل إلى مسؤول الزكاة وقال له: احترق دكاني، فيسأله: وكم يساوي دكانك؟ فيقول: مائة ألف، فيفتح المسؤول سجلات الزكاة، ويبحث عن مقدار الزكاة التي كان يدفعها هذا التاجر، فإذا وجده قد دفع زكاة ماله عن خمسين ألفاً فقط، يقول له:

خذ هذه خمسون ألفا فقط، وهذا جزاؤك يا من تلاعبت بأداء الزكاة، فمن يستطيع أن يتلاعب بأداء الزكاة بعد ذلك، إذ أنه سيدفع زكاة المال كله، كي لا يخسره كله عندما يتعرض لمصيبة في ماله،ومن يضمن أن لا يتعرض متجره للحريق أو غيره؟ وعندئذٍ سترحل كل شركات التأمين من بلادنا.

كما أن الزكاة تأمين ضد الأمراض والإعاقات:

فها هي المستشفيات الإسلامية تخصص صندوقاً فيها يسمى صندوق المريض المحتاج، ينفق منه على علاج المرضى الذين لا يجدون ثمن العلاج، ويمول هذا الصندوق من أموال الزكاة، إضافة إلى نسبة من الأجور التي تحصل من القادرين، فمن يضمن نفسه من المرض، وهناك بعض الأمراض التي يكلف علاجها عشرات بل مئات الآلاف من الدنانير؟

حادي عشر:

الزكاة تساهم في بناء القوة العسكرية للدولة المسلمة، إذ تذهب بعض أموال الزكاة لتجهيز الجيوش، وشراء المعدات العسكرية، وغيرها وهذا دين للوطن في أعناق الجميع نسدده من خلال دفع التزاماتنا المفروضة علينا، فنرضي ربنا، ونحمي أرضنا، وبالتالي يعم الأمن والاستقرار، اللذان لولاهما لم تزدهر صناعة ولا تجارة.

وبعد هذا العرض لفوائد الزكاة، وخطورة منعها أو التقصير في أدائها، أرجو أن أكون قد وفقت في إفهام ذلك التاجر الذي أشرنا إليه في مقدمة الموضوع، وأمثاله من الجهلة بالإسلام، بأن الزكاة شيء عظيم، ولهذا استحق أن يكون الركن الثالث من أركان الإسلام التي لا يكتمل إسلام المرء إلا به.

المشاركات والاستفسارات:

مشاركة (1): تفضل مشكوراً:

أمريكا تدرس نظام الزكاة.

عندما كنت في السنة الرابعة في كلية الشريعة بجامعة دمشق، كان عميد كلية الاقتصاد يدرسنا مادة اللغة الإنجليزية، وكانت القطع المختارة لها علاقة بدراسة الشريعة، إذ كانت من كتاب لكاتب باكستاني يتحدث عن نظام الإسلام، وكان المدرس مخلصاً، ومتواضعاً، ويركز على أن نستفيد من مضمون الدرس، ولا نكتفي بترجمة الكلمات والمصطلحات فقط، وذات يوم كان عنوان القطعة: النظام الاقتصادي في الإسلام، وبعد أن شرح لنا الموضوع شرحاً وافياً، سألنا:

هل فهمتم المعنى الذي يقصده الكاتب؟

فأجاب الجميع بنعم، فأعاد علينا السؤال مرة أخرى، فأجبنا:

نعم بكل تأكيد، فبدأ يسألنا واحداً بعد الآخر عن معنى القطعة، لا كترجمة، وإنما المعنى الذي يقصده الكاتب، فلم يتمكن أحد من الجواب، فقال الأستاذ: آه يا طلاب الشريعة، لو تعلمون

أن أمريكا تدرس إمكانية تحويل اقتصادها من نظام الضرائب إلى نظام الزكاة، فتعجبنا لذلك أيما تعجب...أمريكا؟ زكاة؟ فقال:

هل تعلمون الفرق بين نظام الضرائب ونظام الزكاة؟ كلاهما يجمع الأموال ثم يوزعها فما هو الفرق بينهما؟

زاد شوقنا لسماع الفرق بينهما، لأننا لم نكن نعلم عن ذلك شيئاً، فقال: إن الدوائر والوزارات في كل دولة تقوم بتقدير احتياجاتها، كل وزارة أو دائرة على حده، ثم تجمع هذه الاحتياجات إلى بعضها البعض، والناتج يكون مقدار ميزانية الدولة لذلك العام، ونتيجة لذلك تقوم الدولة بفرض الضرائب حتى توفي بتلك الالتزامات.

فلو سُئلت عن حاجة هذه القاعة، سأقول:

ألف لتجديد المقاعد، وألف لتغيير الشبابيك والأبواب، ومثلها للدهان وتغيير البلاط، ومثلها لتغيير اللوح، ومكتب المدرس، والإضاءة وغيرها، أي بمعنى آخر سأطلب كل ما يجعل هذه القاعة مثالية، لأن الأمر لا يكلفني سوى تعبئة النموذج المخصص لذلك، وهكذا كل قاعات الجامعة، وستكون النتيجة عدة ملايين حاجة هذه الجامعة فقط، وبذلك ستزيد قيمة الضرائب على دافعيها، وهذا يؤدي إلى إبطاء عجلة الاقتصاد الوطني، وهذا ما تعاني منه أمريكا.

أما نظام الزكاة في الإسلام، فيختلف عن ذلك، إذ تقوم الدولة بجمع أموال الزكاة، وما يأتيها من موارد أخرى، ثم تقوم بتوزيع هذه الأموال على الدوائر والمؤسسات بنسبة وتناسب مع احتياجاتها، وأولوية هذه الاحتياجات، فلو طلبت أربعة آلاف كما في المثال السابق، فأتاني ألف فقط، عندها سأقوم بتصليح المقاعد بدل تغييرها، وسأقوم بدهان اللوح بدلاً من استبداله، وسأنظف البلاط، وأقوم بكل ما يلزم من تصليحات، وسيتبقى معي بعض النقود التي زادت عن حاجتي فأقوم بإرجاعها إلى الدولة، ثم أضاف قائلاً:

إذا كانت عندي بقرة تحلب(20) كيلو غرام حليب يومياً، فليس من الضروري أن أضغط عليها كي تنتج أكثر، لأن ذلك سينعكس على إنتاجها في اليوم التالي.

ولو أن عندي شجرة عنب كبيرة، فقمت بتقليمها، بحيث تحمل أكبر قدر ممكن من الثمر، فهذا سيكون على حساب تكاثر الأغصان والأوراق، وفي العام القادم سيضعف إنتاجها من الثمار، وكذلك الأغصان، وتهرم وتموت، ولذلك لا بد من الموازنة بين تكاثر الثمار وتجديد الأغصان.

وهكذا بدا لنا الفرق بين التشريع الرباني الذي يعلم ما يناسب هذه النفس البشرية، ويراعى احتياجاتها، وبين تشريع البشر القاصر، وازددنا بهذه المحاضرة إيماناً فوق إيماننا.وشكراً.

شكرا للأخ الكريم : وأذكر أن رسالة دكتوراه قدمت بخصوص الفرق بين كلمتي الضرائب والزكاة فكان من بعض الفوارق ما يلي:-

إن كلمة ضريبة مشتقة من الضرب وكلمة الضرب مؤذية للمشاعر مهما كان نوع الضرب سواء باليد أو بالرجل أو بالسوط أم بالعصا؛ بينما كلمة الزكاة مأخوذة من النماء والذكاة والتطهير والسمو.

ثم إن الضرائب متغيرة ما بين سياسة وأخرى وحكومة وما بعدها ونظام ونظام؛ بينما الزكاة مقدار محدد من قبل الباري عز وجل لا يتبدل ولا يتغير

كما أن مصارف الضرائب لا يدري دافعها أين تذهب وقد تذهب إلى من أعاديه كالتلفاز المفسد ؛ بينما الزكاة محددة المصارف والأهداف .

مشاركة(2): تفضل مشكوراً .

زكاة المحلات التجارية تكفي لنهضة الأمة الإسلامية:

فلو مررنا بمدينة ما من مدن العالم الإسلامي، وكان طول الشارع الرئيس فيها أربعة كيلو مترات، لوجدنا في كل أربعة أمتار مخزن، مما يعني ألف مخزن، ويقابلها مثلها، وفي كل مخزن من هذه المخازن بضاعة تقدر ما بين ألف إلى مائة ألف بحسب نوع وقيمة البضاعة، وهناك في الشوارع الفرعية ما يزيد عن عشرة أضعاف هذا الرقم، فكم تكون قيمة الزكاة؟

إنها تزيد عن عشرات الملايين، وهذا يعني أن الزكاة في السنة الأولى كفيلة بإشباع حاجات الناس الفقراء، وفي السنة الثانية كفيلة بإنشاء البنية التحتية لكثير من المرافق، وفي العام الثالث نقيم المصانع، والأوقاف التي تدر على الخزينة أموالاً طائلة.

وهذه الأموال كفيلة بأن تعيدنا إلى أيام عمر بن عبد العزيز-رحمه الله - الذي استطاع تحقيق ذلك في عامين فقط، فالمشكلة ليست في الزكاة، وإنما في إدارتها، وفهمها وحسن توزيعها، وبذلك نقتل الفقر الذي قال عنه عمر، لو كان الفقر رجلاً لقتلته، وشكراً.

شكراً يا أخي الكريم: وفي الحقيقة أن الفقر كاد أن يكون كفراً، لذلك كان النبيﷺ يستعيذ من الفقر والكفر معاً، إذ روي عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أن رَسُولِ اللَّهِ ﷺكَانَ يَقُولُ:" اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ فَقَالَ رَجُلٌ وَيَعْدِلَانِ قَالَ نَعَمْ"(النسائي في الاستعاذة (5485).

وهناك ثلاثة أشياء هي من أشد الأخطار على المجتمع المسلم، واستقراره النفسي، وهي:

1.الجهل، وقد عالجه الإسلام بـــ ﴿اقرأ﴾.

2. المرض، وعالجه الإسلام بقوله ﷺ:" تَدَاوَوْا عِبَادَ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُنَزِّلْ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ مَعَهُ شِفَاءً إِلَّا الْمَوْتَ وَالْهَرَمَ " (مسند أحمد (17987) راجع إن شئت كتابي إسعافات أولية في الصيدلية النبوية)

3.الفقر، وقد عالجه الإسلام بالزكاة وغيرها.

<u>مشاركة(3):تفضل مشكوراً.</u>

عندما قامت الشيوعية، وانبهر الناس بها، قال بعضهم: إن التأميم كان موجوداً في الإسلام فهاهم المهاجرون يشاركون الأنصار...الخ.

ونسي هؤلاء أو تناسوا أن الأنصار قدموا أموالهم إلى المهاجرين عن طيب نفس، بينما أُخذت أموال الإقطاعيين رغماً عن أنوفهم، كما أن المهاجرين أعرضوا عن أموال إخوانهم الأنصار زاهدين في الدنيا، رغم حاجتهم إليها، في حين أن الثوار أخذوا أموال الإقطاعيين متلذذين بها، واعتبروها الهدف الذي كانوا ينشدونه من ثورتهم.

وحروب الردة التي قامت ضد الأغنياء (مانعي الزكاة) لمصلحة الفقراء قادها أبو بكر وهو أحد الأغنياء.

أما الشيوعية فهي ثورة مخططين حالمين+منفذين طامعين+ صعاليك محرومين، ضد أغنياء متكبرين+سلاطين متجبرين+كاذبين متعفنين.وشكراً .

شكرا للأخ الكريم: فعندما قام أبو بكر الصديق ﷺ بمحاربة مانعي الزكاة من أول يوم فإنه وفر على المسلمين كثيرا من المعاناة والظلم والمشاكل فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيرا.

<u>مشاركة(4): تفضل مشكوراً.</u>

<u>مثال</u>:الرأسمالية والاشتراكية والإسلام.

إنني أرى حال الرأسمالية والاشتراكية والإسلام كما يلي:

الرأسمالية: كرجل يأكل المشاوي الفاخرة على شاطئ البحر، الممتلئ بالغرقى، دون أن يلتفت إلى أحد منهم، أو يحاول مجرد محاولة لإنقاذ أي منهم، لأن الملكية الفردية بنظره تعني: اجمع ما تشاء ولا دخل لك بأحد.

والاشتراكية: كرجل واقف على شاطئ البحر، كلما رأى أحد الغرقى يحاول أن يخرج، ضربه على رأسه وأعاده إلى البحر مرة أخرى، ذلك لأن الاشتراكية لا تسمح لأحد بالتملك الفردي مهما كان نشاطه، وذكاءه.

أما الإسلام: كرجل انتشل الغريق الأول، وطلب منه أن يقف بجانبه لمساعدته في انتشال باقي الغرقى، فاخرجا اثنين آخرين فاصبحوا أربعة، ثم ثمانية، وهكذا حتى يتم إنقاذ الجميع، وشعارهم في ذلك ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ وليس إياك أعبد.

مشاركة(5): تفضل مشكوراً.

تجلت روعة النظام المالي الإسلامي في عهد عمر بن عبد العزيز-رحمه الله-حينما أرسل عامله على الزكاة في أحد البلدان الإسلامية يستأذنه في إرسال فائض أموال الزكاة إلى مقر الخلافة، فرفض طلبه، وأمره أن يتخذ الإجراءات المناسبة لتوظيف أموال الزكاة في البلد الذي جمعت منه، فما كان منه إلا أن أعلن في أهل البلد ما يلي:

1. من كان من شباب المسلمين يريد الزواج، ولا يملك المهر، فزواجه من بيت مال المسلمين.وهذا مساعدة لتطهير للمجتمع من أسباب الرذيلة.
2. من كان عبداً مسلماً، ويريد العتق، فعتاقه في بيت مال المسلمين.
3. من كان عليه دين، ولا يجد مالاً يقضي به دينه، فأداؤه في بيت المال.
4. من كان يستطيع الجهاد وليس عنده فرس، فبيت المال يقدم له فرساً.

فزوج الشباب، واشترى للمجاهدين خيولاً، وأعتق العبيد، وقضى دين المدينين، وبقي بعض المال الفائض عن الحاجة أودع في بيت المال، ولم يبذر هنا وهناك، كما هي أموال الأمة في هذه الأيام . وشكراً

شكراً للأخ الكريم : كما أن هذه هي روعة النظام الإسلامي في الغنى، فكذلك كانت في الفقر، فعندما حصل الجدب في أحد الأعوام في زمن عمر بن الخطاب فلم يبق عند المسلمين سوى الخبز والزيت، وكان عمر لا يحب الزيت لأن بطنه يقرقر منه، لكنه لم يأكل إلا كما يأكل عامة المسلمين وفقرائهم، وذات مرة صار بطنه يقرقر فقال له: قرقر أو لا تقرقر فوالله لن تذوق اللحم حتى يشبع أولاد المسلمين اللحم، فهذا هو الإسلام لمن أراد أن يطبق أو يفاخر.

مشاركة(6): تفضل مشكوراً.

عندما فسد النظام النقدي في إحدى الدول قامت الدولة بتوزيع الأموال على الشعب بالتساوي، ولم تمر بضع سنوات حتى أصبح عندهم تفاوت في الدخول، فمنهم لديه الآلاف،

ومنهم من عليه الآلاف، فالملكية الفردية أمر طبيعي، والغنى والفقر أمر بديهي، والإصرار على إلغاء الملكية الفردية بحجة العدالة والمساواة بين الناس، أمر غير منطقي.

شكراً يا أخي، وكما قلنا سابقاً: إن الإسلام قال للكل: اذهبوا واعملوا بما شئتم، وإياكم من: الربا، والغش، والاحتكار، والاستغلال، ثم ادفع زكاة أموالك رفقاً بإخوانك الآخرين الذين لا يجدون ما ينفقون على أنفسهم، لعجزهم أو مرضهم، أو لحاجتهم التي تسد بالتعاون بين بني البشر.

مشاركة(7): تفضل مشكوراً.

عندما انهار الاتحاد السوفييتي، وانهار الستار الحديدي، وسمح لنا بالذهاب إلى تلك الدول التي كانت محكومة بالحديد والنار، رغم أن الثورة كما يقال إنما قامت لأجل تلك الشعوب فإننا وجدنا أمرين:

الأول: أن الرجال في القرى عاطلون لا عمل لهم إلا القليل، والنساء هن اللواتي يعملن ببعض الأعمال كنسيج الصوف وبيعه، وحلَّلنا ذلك بأن الدولة هي التي كانت تتكفل بإطعام الشعوب، والشعوب إن عملت أم لم تعمل يأتيها طعامها، فاختاروا أن لا يعملوا، وبما أن يداً واحدة لا تصفق، فقد وصلوا إلى ما وصلوا إليه، من الفقر والإفلاس.

الثاني: أن الجميع، حتى المدرس أو المدرسة في الجامعة، وهي أرقى فئات المجتمع، يستجديك إلى حد الذل إذا رأى أنه بإمكانك أن تحسن إلى أحدهم بإعطائه بنطلون"جينـــز" مثلاً، علماً بأن معجون الأسنان كان يصرف بالوزن بدل أن يكون مغلفاً بعبوة، وشكراً.

والحمد لله رب العالمين.